



الخطارة الأولى:

أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَطَاولَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَلَ فِتَنًا عَظِيمًا تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكُثُرُ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَكُثُرُ الْفِتَنُ وَيَكُثُرُ الْهَرْجُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبَعَّثَ دَجَالُونَ كَذَابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثَيْنَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْرُ الرَّجُلُ بِقِيرَ الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَيَتَنِي مَكَانِكَ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَهَا النَّاسُ، آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ حَتَّى يُهُمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبُلُهُ مِنْهُ)).

قال الحافظ ابن رجب: "وَمَضْمُونُ مَا ذُكِرَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْأُمُورَ تَوَسُّدُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - لِمَنْ سَأَلَهُ، عَنِ السَّاعَةِ: ((إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)), فَإِنَّهُ إِذَا صَارَ الْحُفَاةُ الْعُرَاءُ رِعَاءُ الشَّاءِ - وَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ - رُؤُوسُ النَّاسِ، وَأَصْحَابُ التَّرْوِيدِ وَالْأَمْوَالِ، حَتَّى يَتَطَاولُوا فِي الْبُنْيَانِ، فَإِنَّهُ يَفْسُدُ بِذَلِكَ نِظامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ رَأْسُ النَّاسِ مِنْ كَانَ فَقِيرًا عَائِلًا، فَصَارَ مِلْكًا عَلَى النَّاسِ، سَوَاءً كَانَ مُلْكُهُ عَامًا أَوْ خَاصًا فِي بَعْضِ الْأَشْيَايِاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُادُ يُعْطِي النَّاسَ حُقُوقَهُمْ، بَلْ يَسْتَأْثِرُ عَلَيْهِمْ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لِئَنْ تَمُدَ يَدَكَ إِلَى فِيمَا الْتَّنَيْنِ، فَيَقْضِيهَا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُدَهَا إِلَى يَدِ غَنِيٍّ قَدْ عَالَجَ الْفَقْرَ. وَإِذَا كَانَ مَعَ هَذَا جَاهِلًا جَاهِيًّا، فَسَدَ بِذَلِكَ الدِّينُ، لَأَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ هِمَةٌ فِي إِصْلَاحِ دِينِ النَّاسِ وَلَا تَعْلِيمِهِمْ، بَلْ هِمَتُهُ فِي جِبَائِيَّةِ الْمَالِ وَأَكْتَنَاهِ، وَلَا يُبَالِي بِمَا فَسَدَ مِنْ دِينِ النَّاسِ، وَلَا بِمَنْ ضَاعَ مِنْ أَهْلِ حَاجَاتِهِمْ.

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلُّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا)). وَإِذَا صَارَ مُلُوكُ النَّاسِ وَرُؤُوسُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ انعَكَسَتْ سَائِرُ الْأَحْوَالُ، فَصَدِيقُ الْكَاذِبِ، وَكَذِيبُ الصَّادِقِ، وَأَتُمْنَ الْخَائِنُ، وَخُونَ الْأَمِينِ، وَتَكَلَّمُ الْجَاهِلُ، وَسَكَتَ الْعَالِمُ، أَوْ عَدَمَ بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ)), وَأَخْرَى: أَنَّهُ (يُقْبَضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَقِنْ عَالِمٌ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلَّوْا وَأَضَلُّوا)).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَصِيرَ الْعِلْمُ جَهَلًا، وَالْجَهْلُ عِلْمًا.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنِ انْقِلَابِ الْحَقَائِقِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَانْعِكَاسِ الْأُمُورِ. انتهى.

الخطارة الثانية:

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أَمْتَي هَذِهِ أُمَّةٍ مَرْحُومَةٌ لِيُسَ).

عليها عذابٌ في الآخرة، عذابُها في الدنيا: الفتنُ، والزلزالُ، والقتلُ).

قلت: وهذا في العذاب العام الذي يصيب الأمة مجتمعة، كما حصل مع الأمم السابقة التي كذبت نبها وحاربتها، فأهلكهم الله تعالى - إهلاكاً عاماً. وأمتنا - وبالأخص في مطلع القرن العشرين - حاربت دين الله - تعالى - أيمماً محاربة، فقتلت أتباع الأنبياء، وعطلت شرع الله - تعالى -، وحكمت بغير ما أنزل الله، واعتبر الدين خلافاً، والكفر تقدماً. فلولا هذه الرحمة التي سبقت لأهلك الله - تعالى - هذه الأمة. وهذا لا علاقة له بالعذاب الفردي لكل مسلم فليتبه. والله أعلم.

الخاطرة الثالثة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يَكُونُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ خُلُفَاءٌ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَعْدِلُونَ فِي عِبَادِ اللَّهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الْخُلُفَاءِ مُلُوكٌ يَأْخُذُونَ بِالثَّالِثِ، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ، وَيَصْنُطُفُونَ الْأُمُوَالَ. فَمُغَيْرٌ بِيَدِهِ، وَمُغَيْرٌ بِلِسَانِهِ، وَمُغَيْرٌ بِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ شَيْءٌ).

فيما من جبن عن قول كلمة الحق، لا تحفنا بخدلانك والناس يجودون بدمائهم لأجل كرامتك وكراهة أمثالك، وغداً عندما يكرمك الله - تعالى - أنت وسواك بحكم تشعر فيه بإنسانيتك تذكر فضل هؤلاء عليك، وأنك خذلتهم في موضع احتاجوا فيه لنصرتك.

الخاطرة الرابعة:

أخرج أبو داؤد الطيالسي بسنده عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهم - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَدَا هَذَا الْأَمْرُ نِبْوَةً وَرَحْمَةً، وَكَائِنًا خَلْفَةً وَرَحْمَةً، وَكَائِنًا مَلَكًا عَضُوضًا، وَكَائِنًا عَنْوَةً وجبرية، وَفَسَادًا فِي الْأَرْضِ يَسْتَحْلُونَ الْفَرْوَجَ وَالْخُمُورَ وَالْحَرِيرَ، وَيَنْصُرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيَرْزَقُونَ أَبْدًا حَتَّى يَلْقَوْا اللَّهَ)).

فيما من يرى الخيرات عند الآخرين، لا تغتر بهذا، فالعقوبة للمتقين؛ {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين}(77) قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون(78) فخرج على قومه في زينته قال الدين يربدون الحياة الدنيا يا لآيت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم(79) وقال الذين أوتوا العلم ويكلم تواب الله خير لم من آمن وعمل صالحاً ولا يلقيها إلا الصابرون(80) فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين(81) وأصبح الذين تمأوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يُفلح الكافرون(82) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يربدون على في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين(83) من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون(84)} . [القصص: 77-84].

اللهم ثبتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، واجعل رضاك والجنة قبلتنا. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

المصادر: